### بتوجيهات زايد

# مشاريع حضارية في دلما تنقلها للقرن الحادي والعشرين «جزيرة اللؤلؤ» تبوح بأسرارها وتكشف عن دورها الحضاري

■ تحقيق - فريد وجدي:

■ دلما الجزيرة الساحرة التي لعبت دورا تاريخيا وتقليديا في حياة الامارات كمركز تاريخي واقليمي لتجارة اللؤلؤ تخضع حاليا بتوجيهات من صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة لبرنامج تطويري شامل يضع اساسا صحيا ولمسات ساحرة على الجزيرة حتى تستقبل القرن الحادي والعشرين كأحد أهم مراكز التنمية البشرية والاقتصادية والسياحية في الامارات وتمتد يد التطوير الى الجزيرة لتوفر لها مشاريع البنية الاساسية من طرق وماء وكهرباء واتصالات ومواصلات وخدمات اسكان ومشاريع زراعية وترويحية وترفيهية وحدائق ومتنزهات عامة بالاضافة الى الاهتمام بالتنقيب عن آثار الجزيرة والتي تعكس حياة ابن الامارات منذ نحو ٦ آلاف سنة مضت وتحوي شواهد الحضارات التي عاشها هذا الانسان على هذه الارض الطيبة على مر السنين.

وتكشف اثار دلما عن تفاصيل العديد من فصول التاريخ وتبوح بأسرار حياة الانسان ابن هذه الارض على ظهر الجزيرة منذ آلاف السنين.

وفي لقاء مع السيد فتحي محمد عبدالله والذي يعمل آثريا في متحف جزيرة دلما شمل الحوار العديد من الحقائق الماثلة على أرض الجزيرة حاليا ويوضح ان الجزيرة لعبت دورا تاريخيا وحضاريا تقليديا في حياة البلاد شهدت له المسوحات الاثرية التي تمت في السابق وكان نتيجة هذه المسوحات اكتشاف مواقع اثرية وتحديد عمرها الزمني وتم رفعها على خرائط ولكن للأسف توقف العمل الى هذا الحد ونأمل في المستقبل القريب ان تمتد ايدي الاثريين ليبحثوا ويدرسوا المظاهر الفنية والمادية للحضارة داخل الجزيرة مع استمرار أعمال التنقيب عن الآثار.

ويشير الى ان المباني الاثرية تشمل المساجد والمدارس والآبار والملتقطات الاثرية المعروضة في متحف دلما وهي من اكبر الشواهد الحضارية على دور دلما في صنع التاريخ وقد نالت الجزيرة اهتماما بالغا واصبحت مدينة متكاملة الخدمات من جميع النواحي ومن ضمنها الاهتمام بصيانة وترميم المباني الاثرية لتلقي الضوء على دور الجزيرة كميناء ومستوطن سكاني ومركز اشعاع حضاري.

### عبق التاريخ

ويقول السيد فتحي ان جزيرة دلما وبفضل توجيهات واهتمام صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة تعطر زائريها بعبق التاريخ وأصالة الماضي الممتزجة بالنهضة والتنمية التي حولت الصحراء الى جنات وقصور وهو ما يعطي جزيرة دلما مكانة مرموقة على الخارطة السياحية خصوصا بعدما اصبحت السياحة من انجح الوسائل الاعلامية للتعريف بالبلاد وحضارتها وآثارها. والزائر لجزيرة دلما اليوم يشاهد ما تم انجازه من معالم الحضارة واظهار حقيقتها الصادقة في فن التخطيط وكذلك هويتها المعمارية وعناصرها الفنية التي تعود الى العصر الاسلامي ومن اشهر هذه المعالم التي يمكن للزائر والمتخصص الدارس الاستفادة منها مركز اللؤلؤ وهو مقر متحف دلما الآن ومراكز العمارة البدوية متمثلة في المساجد ثم المدابس والقطارة ومصادر المياه القديمة، كما يمكن للزائر الاستمتاع بممارسة عادة الغوص عن اللؤلؤ والسيد الاسماك والاستمتاع بالرحلات البحرية وراحة النفس من خلال التنزه وسط البساتين الخضراء.

### الوصف التاريخي للجزيرة

وذكر السيد فتحي أن وصف جزيرة دلما ورد في كثير من المصادر وذلك يدل على ما كانت تمثله في الماضي من مكانة عالية واهمية خاصة في دولة الامارات والخليج بشكل عام وشملت اهم الآراء التي قيلت في وصف جزيرة دلما، ما ورد في كتاب الهداية للربان راشد بن فاضل البلغلي «صفة الدلمة هي جزيرة كبيرة ولها ماشية من جنوب ومن شرق وفيها ماء ونزلة عرب وتعمر في وقت الغوص ويصير فيها سوق اللؤلؤ تقدر ميل من دلة نجرى صير بني ياس».

وهناك وصف آخر في نفس المرجع «دلما هي جزيرة كبيرة وتوجد بها ماشية من الجنوب وأخرى من الشرق وفيها ماء عذب ومنازل لسكان عرب تعمر في موسم الغوص على اللؤلؤ ويقام فيها سوق اللؤلؤ».

وهناك وصف آخر لجزيرة دلما كما ورد في كتاب الطبعة الثانية للاستاذ محمد علي يصف جزيرة دلما ويقول: يتألف جزؤها الشمالي من تلال ذات قمم منبسطة وأكثرها ارتفاعا يعلو بمقدار عشرة أمتار. أما جزؤها الجنوبي فرملي منخفض وينتهي كما هي العادة في كافة الجزر بلسان رملي في طرفه الجنوبي ودلما هي احدى الجزر القليلة التي توجد بها مساكن دائمة وتقع على الساحل الجنوبي الغربي».

وهناك وصف في كتاب وادي الرافدين للأستاذ أحمد عبدالباقي يصف فيه جزيرة دلما: «بأنها جزيرة مشهورة بزراعة النخيل والخضروات والفواكه ومركز تجارة اللؤلؤ وصيده وكذلك صيد الاسماك وتصديرها لجميع امارات الدولة».

وهناك وصف للشاعر سلطان بن علي الرفيسا من أبوظبي يقول فيه عن جزيرة دلما «دلما لها شان وعتبان. عند البيبة حسن وشعور. اسم لها شايع في الاقطار ينشهد لها تاريخ وعصور واليوم دلما تشع بأنوار من فضل من عمر الدار. نور الوطن يقاليم بدور وزايد من مثله فلا صار. فالجد له حكمة ودستور، وفي عهده دلما زخرفت فلات وقصور وتحولت جنات وزهور. ونعما بأهلها ناس أخيار يا سعد من جداهم يزور».

وأخيرا هناك وصف للدكتور عبدالستار العزاوي في كتاب مرشد المباني في دلما يقول فيه: «جزيرة دلما الواقعة في الخليج العربي والتابعة لحكومة أبوظبي بدولة الامارات كان لها دور تاريخي وحضاري وشهدت لها التنقيبات بعض المنشآت الاثرية وكذلك المباني الشامخة كالمساجد والبيوت وتقع جزيرة دلما في الخليج العربي في الشمال الغربي لمدينة أبوظبي قريبة من سواحل الخليج العربي وهي جزيرة بيضاوية الشكل مستوى الشكل تقريبا وتظهر في جوانبها الشرقية والشمالية تلال صخرية وأرضها خصبة اذ تكثر فيها مزارع الخضروات والفواكه.

### العملات التاريخية

ويوضح السيد فتحي انه تم العثور على عملات تاريخية وأثرية عديدة في جزيرة دلما وارجع اسباب العثور على هذه العملات الى الدور التجاري الهام الذي لعبته الجزيرة في مجال تجارة اللؤلؤ تاريخيا حيث لم يكن لعرب الخليج بعد أن سد البريطانيون أمامهم سبل الكسب من تجارة البحر أوائل القرن ١٩ الا أن يلجأوا الى البحر مرة أخرى ولو بصورة مختلفة فقد قامت بريطانيا بضرب الأسطول العربي منذ عام ١٨٠٩م وكانت بذلك تحطم النشاط التجاري الذي يمارسه عرب الخليج ووأصلت ضربها للمراكز الرئيسية لسكان الساحل العماني وتدمير القصاصم بتكبيلهم بمجموعة من المعاهدات التي ربطتهم بها طوال القرن التاسع عشر والتي قيدت حركة أساطيلهم بالتفتيش والمراقبة ومنع بناء السفن التجارية الكبيرة بدعوى القضاء على تجارة الرقيق والسلاح لذا توجه عرب الخليج الى عمليات صيد اللؤلؤ اكثر من اي وقت مضى حتى يمكن أن يطلق على هذا العصر الذي امتد بين ضرب القواعد العربية عام ١٨٠٩ وحتى ثلاثينات القرن التالي حين بدأ البترول يلعب دورا هاما في اقتصاد الخليج يمكن ان يطلق عليه العصر الذهبي للؤلؤ وكانت أغنى مغاصات اللؤلؤ في الخليج العربي تقع بين شبه جزيرة قطر وسواحل أبوظبي وبالذات في جزيرة دلما، والتي بدأت عصرها الذهبي وأصبحت منذ القرن التاسع عشر من أهم مراكز تجارة اللؤلؤ.

وكان من الطبيعي ان يجتذب هذا النشاط التجاري الهام في الجزيرة تجار اللؤلؤ من البلاد الاخرى الباحثين عن مصادر اللؤلؤ اللازم لانعاش تجارتهم واصبحت جزيرة دلما اهم مراكز تجارة اللؤلؤ وتجمع سفن الغوص والتجار على سواحلها وبرع التجار الهنود في هذا المجال وتشكلت لهم علاقات تجارية هامة في الجزيرة.

ونظرا لعلاقات الهندية التجارية فقد ارتبطت معظم مناطق الخليج ومنها جزيرة دلما بالعملة الهندية والتي تسمى بالروبية بصورة غير رسمية منذ عام ١٨٢٥ وقد عثر على عملات هندية في جزيرة دلما تعود الى عام ١٨٣٥ وهي عبارة عن عملات عثر عليها بجوار المباني التراثية في الطبقات الأولى على عمق ٢٥ سنتيمترا وتظهر على هذه العملات صور لأباطرة انجليز واسماء الاباطرة وتوجد كذلك قيمة العملة وتاريخ الضرب هذا بالاضافة لصور لحيوانات ربما تمثل رموزا هندية وهناك عملات هندية مختلفة التواريخ تم العثور عليها.

وعثر بجوار هذه العملات الهندية على عملات محلية ضربت في منطقة الخنيج عام ١٣٦٥هـ وتكشف تعدد أنواع العملات الاثرية التي عثر عليها بجزيرة دلما عن طبيعة النشاط الاقتصادي وحجم التجارة الدولية والمحلية وحجم المعاملات في السوقين المحلي والدولي. فالتجارة هي أكثر العوامل تأثيرا في العلاقات بين الشعوب، ويؤكد العثور على عملات هندية بجزيرة دلما على عمق التبادل التجاري بين الهند وهذه الجزيرة واقبال الهنود يتاجرون في السلع والبضائع الهندية حيث لازم بعضهم السفن العربية لتجارتهم واختار بعضهم الاقامة في بلاد العرب ومنهم التجار الهنود الذين كانوا يأتون من الهند في مواسم العرب وأسواقهم وأثر أهل الخليج بأخلاقهم وحسن سلوكهم تأثيرا عميقا على عدد كبير من سكان الهند لتسكن في منطقة الخليج.

وبذلك تكون جزيرة دلما ساهمت تاريخيا في انعاش الاقتصاد سواء على المستوى المحلي أو العالمي وهي اليوم تساهم بتاريخها العريق الذي يعود الى اكثر من ستة آلاف سنة.

### العمارة الاسلامية بالجزيرة

وتكشف المباني التراثية في جزيرة دلما عن أصالة العمارة التقليدية وارتباطها الوثيق بالعمارة الاسلامية القديمة والعمارة التقليدية «المحلية» بجزيرة دلما، جزء لا يتجزأ من سلسلة طرز العمارة الاسلامية اقتبست مما سبقها من طرز معمارية خلفتها الحضارات السابقة ولم تقف عند حد الاقتباس، بل سكان الجزيرة طوروا في بعض الأساليب المعمارية والزخرفية وأضفوا عليها الصبغة المحلية التي تتلاءم مع طبيعة المنطقة وبساتينها بغرض المحافظة على التقاليد المعمارية العربية والاسلامية العريقة وتمتاج العمارة بجزيرة دلما لتوثيق وتسجيل وتحليل حتى تكون مرجعا للباحثين والدارسين من علماء التاريخ والآثار والمهندسين ليستفيدوا منه في تطوير مناهج الدراسات المعمارية في الجامعة ويطلعوا على تراث معماري ثقافي يدل على مستوى كبير من الدراية والفهم لأصول وقواعد البناء بجزيرة دلما وما بها من تراث معماري نابع من التقاليد العربية والاسلامية.

وتشمل مميزات فن العمارة بجزيرة دلما السمة الاسلامية المتمثلة في المساجد والأسواق والتي تظهر عليها عناصر العمارة الاسلامية كالعقود والدخلات الجدارية والعناصر الزخرفية كالنقوش الجبسية والقمريات التي تزين الجدران والشرافات التي تزين النهايات العلوية للجدران فهي عمارة لها طابع مميز يعكس ذوق الناس الذين شيدوا هذه المباني طبقا لتقاليد متوارثة تخضع للعادات والتقاليد الاجتماعية وظروف البيئة المحيطة بالنسبة لمواد البناء والمناخ وهذان العاملان هما اللذان كانا يحددان طريقة سير عملية البناء هذا بالاضافة الى أن هندسة البناء لم تكن تخضع في الغالب لما نعرفه اليوم من رسومات هندسية او خرائط بل كانت تخضع لمزاج صاحب البيت وللطريقة التي يتصحها الرجال القائمون على عمل البنا. كمبانين في اقامة البيت والتي تتميز بالبساطة المتأثرة بفن العمارة المتوارث والمستمد عبر الأجيال من صورة ما بناه السابقون ولذلك عرفت بالعمارة التقليدية لذلك يجب النظر الى المباني التراثية كرمز للتعبير عن شكل الحياة الاجتماعية وكجزء من بيئة حياة لبناء قديم وطابع مختلف.

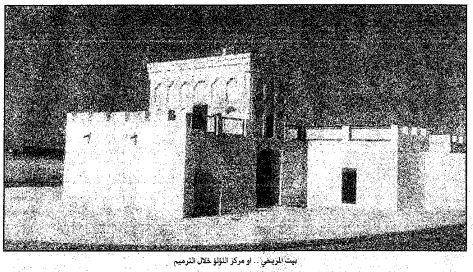
بيت الدريعي .. او مركز اللؤلؤ خلال الترميم

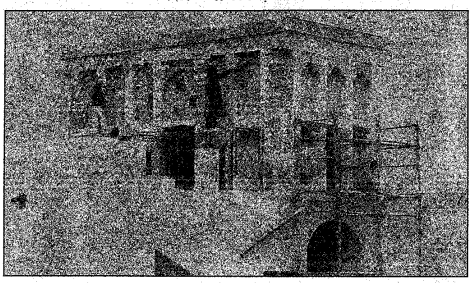
بيت الدريعي قبل الترميم

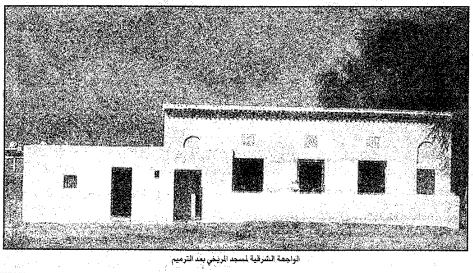
الواجهة الشرقية لمسجد الدريعي بعد الترميم

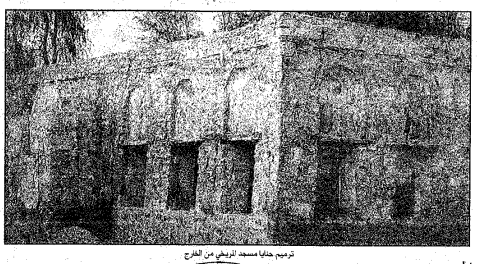
ترميم جانبا مسجد الدريعي من الخارج

فتحي محمد عبدالله

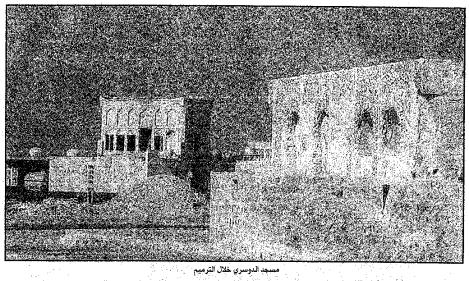
مسجد الدوسري خلال الترميم

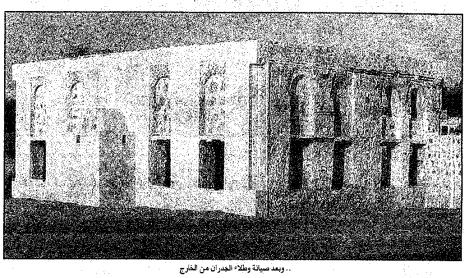
.. وبعد صيانة وطلاء الجدران من الخارج

## الصحراء تحولت الى جنات وقصور والآثار تتحدث عن حضارة ٦ آلاف سنة لابن الامارات

تلى القرية بمنطقة تل المخار بجزيرة دلما

شاهد صخري على حياة الماضي